عنوان المحاضرة السادسة: الثقافة التقليدية

الهدف من المحاضرة:

- باختصار شديد تتمثل الأهداف في معرفة المصطلحات التي لها علاقة بالمحاضرة أولا، ومن تم الجمع بينها.
- تبيين تأثير الثقافة التقليدية على سلوك الفرد والجماعة.

1. تعريف الثقافة:

الثقافة هي التراث الفكري التي تتميز بين جميع الأمم عن بعضها البعض، حيث تختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع الى آخر.

يعتبر مفهوم الثقافة ملازما للعلوم الاجتماعية، وهو ضروري لها إلى حد ما، للتفكير حول وحدة البشرية من خلال التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند إلى البيولوجيا. ويبدو أن هذا المفهوم يقدم أكثر الأجوبة إقناعاً على سؤال الفارق بين الشعوب، وذلك لأن الجواب " العرقي" أخذ يفقد من قيمته شيئاً فشيئاً مع تطور علم الوراثة البشري.

الإنسان لا يملك أي شيء طبيعي خالص. حتى الوظائف البشرية المرتبطة بالحاجات الفيزيولوجية كالجوع والنوم والرغبة الجنسية وما إلى ذلك، تمليها الثقافة: المجتمعات لا تقدم تماماً الأجوبة نفسها بالضبط، على تلك الحاجات. وفي المجالات التي تخلو من الإكراه البيولوجي تقوم الثقافة بتوجيه السلوك. لذا فإن الأمر :"كن طبيعيّاً"، وهو أمر نوجهه غالباً للأطفال في الأوساط البورجوازية على وجه الخصوص، يعني في الواقع :" كن متوافقاً مع نموذج الثقافة التي نقلت إليك"

ندين لإدوارد تايلورEdward Burnett Taylor (1832-1917)، الأنثروبولوجي البريطاني بأول

تعريف إناسي للثقافة: "الثقافة أو الحضارة بمعناها الإناسي الأوسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.

2. مصادر الثقافة:

مهما كان نوع الثقافة من تقليدية أو حديثة فأنها تنبثق عن مصادر اوجدتها، وأهمها:

- ✓ **اللغة:** على اعتبار أن كافة شعوب العالم نقلت ثقافتها إلى باقي الشعوب الأخرى اعتمادا على لغتها.
- ✓ **الفكر الانساني:** وهو مجموع المعارف المؤدية الى تشكيل الثقافة الانسانية، والمسهمة في تباين الشعوب عن بعضها البعض، بالحرص على الخصوصية المميزة لكل من شعوب المعمورة (لزهر، 2017 ص35).

3. مكونات الثقافة:

تتكون الثقافة من ثلاث مكونات رئيسية، ويمكن جمعها في:

- ✓ **مكونات مادية:** وهي المكونات المستخدمة بشكل يومي، كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وغيرها.
- ✓ **مكونات فكرية:** مثل الفن واللغة و العلم والدين وغيرها.
- ✓ **مكونات اجتماعي:** وهي تلك المكونات التي تشمل على البناء الاجتماعي وهيكله (كما يمكن أن تصنف بصفة أوسع وفقا للمكونات التالية:
- ✓ **الأفكار:** وهي مجموعة النتائج التي يتوصل لها العقل بعد التفكير والتمحيص الطويل للمعلومات التي تلقاها

✓ **الدين:** لغة الملك والحكم والتدبير واصطلاحا هو وضع إلاهي سابق لذوي العقول السليمة أي اصطلاحا الدين هو وضع إلاهي يرشد الى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات ومن أشهر تعريفات الدين عند الغربيين هو ما قاله الفيلسوف كانط:" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلاهية"

✓ **اللغة:** وهي مجموعة الحروف أو الرموز التي يتمكن أفراد المجتمع من خلالها من التواصل فيما بينهم، وتنقل كل ما يتعلق بهم لمن بعدهم

✓ **العادات:** هي صورة من صور السلوك الاجتماعي استمرت فترة طويلة من الزمن واستقرت في مجتمع معين وأصبحت واصطبغت الى حد ما بصيغة رسمية. والعادات الجمعية هو ما اعتاد الناس القيام به من سلوك أو مختلف الأحوال ومنذ زمن طويل، وهو سلوك متوقع في ظرف محدد، وهو ليس سلوكا مستحدثا، إذن هي تتطلب التكرار والقبول العام والعادات في علاقتها بالصحة والمرض معا وطبيعة تحديد الاساليب العلاجية التي يجب اتباعه أن سواءا كانت اساليب علاجية تقليدية أو خدمات علاجية رسمية، كما يمكن للعادات أن تحدد نوعية المرض فيراه مؤقتا سرعان ما يزول وبالتالي يخلى عن العلاج المؤسساتي، وقد يكون غير ذلك فتعمل العادات على دفعه لإجراء فحص طبي رسمي طبي حديث وتؤكد الدراسات الأنثربولوجية على أن العادات ترتبط بالمرض والعلاج وتمارس دورا في تحديد نوعية الإجراءات العالمية التي يلجأ إليها المريض .

✓ **التقاليد:** هي طائفة من قواعد السلوك التي تخص طبقة معينة، أو ترتبط ببيئة محدودة النطاق، تتميز عن العادات أنها أقل إلزاما منها، يتم تناقلها بانتقاء عكس العادات التي تتميز بالإلزام، وعند عدم مراعاتها واتباعها بقوة الجزاء .

✓ **العرف:** فيمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها وهي أكثر صدقا وسلامة من العادات الشعبية، ومن وظائف العرف أنه يحدد الصواب والخطأ، ويعين لنا ما يمكن وصفه بأنه خلقي أو غير خلقي، ويتميز بالبطئ على عكس العاداتوالعرف ما يتصل به من العقائد الشعبية وأفكار العوام، ويعتبر أهم جزء من دستور الأمة الغير المكتوب،

ويمثل الجانب السلبي لمحرمات ومقدسات أي مجتمع وتحريم بعض الأعمال لارتباطها بقوة تؤثر في الحوادث، مثل عدم غسل الشوارع ليلا، وعدم كنسها يوم سفر صاحبها ظنا منهم أن هي الأمور تجلب التعاسة . وتسبب حوادث مؤلمة تؤدي الى اضطرابات نفسية. كما يتمثل العرف في التشاؤم من سماع نعيق البوم وعدم لمس المحرمات، وعدم ذبح بعض الحيوانات، وعدم أكل بعض الطيور لارتباطها بأصول قدسية، أو ارتباطها بأفكار وتصورات خارقة كالشيطان والأرواح الخبيثة

- ✓ **التراث الشعبي**: يتجلى التراث الشعبي في عنصر الفلكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات واساطير ولفظ "تراث" يعني بشكل عام العناصر الثقافية التي يتلقاها جيل بعد جيل، ويتضمن الاعتقاد الشعبي على اعتقادات متنوعة وهي:
  - الاعتقاد بالكائنات العلوية كالجن والعفاريت وأرواح الموتى.
  - الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم والتفاؤل.
  - الاعتماد على السحر والتعزيم.
  - الاعتقاد بالأولياء والوسطاء والايمان بالقرابين.
  - الاعتقاد بالطب الشعبي وفيه مثلا "العلاج بالكي والحجامة والرقية".
- ✓ الاعتقاد بالعادات المرتبطة بدورة الحياة والتي تدور حول الولادة، الختان، الخطبة، ...الخ (**القانون**: وهي مجموعة الأحكام التي تضبط المجتمع وتحميه من الداخل والخارج

4. تعريف الثقافة التقليدية:

تلاقي الثقافات لا ينشأ عن المجتمعات الشاملة globales فقط، بل أيضاً عن جماعات اجتماعية تنتمي إلى المجتمع المركب نفسه. وبما أن هذه الجماعات متراتبة في ما بينها، نلاحظ أن التراتبات الاجتماعية تحدد

التراتبات الثقافية، وهذا لا يعني أن ثقافة الجماعة المهيمنة تحدد طابع الجماعات المهَيمن عليها اجتماعياً. فثقافات الطبقات الشعبية لا تخلو من الاستقلالية ولا من القدرة على المقاومة

وبالتالي سننتقل إلى تعريف الثقافة التقليدية حيث يعرفها "مظهر سليمان" إن الثقافة التقليدية ما هي إلا صورة من صور العجز الذي يعيق تطور المجتمعات المتخلفة، إذ أنها تفتقد للإنتاج والتجديد والتطور الاجتماعي، وهي في أبسط صورها طريقة التعبير المستعملة من طرف ممثلي هذه الثقافة، إضافة إلى انتهاز الفرص والمساواة بين الناس مما يجعل هذه المجتمعات تعيش وترتبط بها الأغلبية ولا يمكن التطور دون التخلي عن هذه الأفكار" حيث يقول مظهر في هذا الشأن: "تقتضي الإحاطة بهذا العجز توفر شرطين يتمثل الشرط الأول في الكف عن ربط هشاشة المجتمعات المتخلفة بتوابع الاستعمار أو التنافس الدولي والاعتراف بأن جل هذه الهشاشة راجع للثقافة التقليدية، أما الشرط الثاني فإنه يفرض الاهتمام بالماضي البعيد حتى يتسنى الاطلاع على كيفية تنظيم وتسيير الحياة الاجتماعية بواسطة الثقافة التقليدية، أي يجب الاعتناء بما جرى قبل بزوغ الحداثة والعنصرية"

كل ثقافة لها "أسلوب" خاص يتضح من خلال اللغة والمعتقدات والأعراف والفن أيضاً وغير ذلك. وهذا الأسلوب هو "روح" يخص كل ثقافة ويؤثر على سلوك الأفراد. وكان "بواس" يظن أن مهمة الإناسي (عالم الأعراق) تنطوي أيضاً على توضيح العلاقة التي تربط الفرد بثقافته

5. الفرق بين الثقافة التقليدية والثقافة التنظيمية التقليدية:

لقد عرف الكاتب "غيبسون" Gibson وزملاءه الثقافة التقليدية بوصفها "شيئا مشابها لثقافة المجتمع، إذ تتكون الثقافة التنظيمية من قيم واعتقادات ومدركات وافتراضات وقواعد ومعايير وأشياء من صنع الانسان، وأنماط سلوكية مشتركة..." أما الكاتب "كورت لوين" Kurt Lewin فقد عرف الثقافة التنظيمية بأنها مجموعة الافتراضات والاعتقادات والقيم والقواعد والمعايير التي يشترك بها أفراد المنظمة، وهي بمثابة البيئة الانسانية التي يؤدي الموظف عمله فيها

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن الثقافة التنظيمية جزء لا يتجزأ من الثقافة العامة التي يحملها الفرد، بل أن الثقافة العامة أو ثقافة المجتمع تحاول أن تكيف وضع المنظمة حتى ينسجم مع النسق الثقافي العام، هذا في المجتمعات التي تنشأ فيها المنظمات، أما المجتمعات التي تستورد هذه المنظمات فإن عملية التكييف تأخذ مسارا آخر وتجد مشكلات أخرى، ذلك ان الثقافة التنظيمية هي نتاج لوضعية اجتماعية واقتصادية وترتبط بالنظام الاقتصادي والاجتماعي السائد، فالثقافة التنظيمية في المجتمعات الزراعية أو الريفية تختلف عن الثقافة التنظيمية في المجتمع الصناعي

6. الجزائر بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة:

يجد المجتمع الجزائري نفسه بين ثقافتين مختلفتين ومتصارعتين، تحاول كل واحدة فرض نفسها على الأخرى، ألا وهي الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة، ولعل مقال الدكتور بوبقرة كمال حول موضوع الثقافة التقليدية في المجتمع الجزائري بين الأطر التقليدية والنماذج الحديثة سنة 2013 الذي يبين ما قلناه بالأول، حيث يقول الكاتب: "نجد أنفسنا بين ثقافتين مختلفتين في كل المنظمات والمؤسسات الجزائرية، ثقافة تقليدية متأثرة بالعادات والتقاليد، وبوسائل العمل والانتاج والتنظيم القديمة، ... هذه القيم التقليدية كونت ما يعرف عادة بالذهنية التقليدية. في مقابل ذلك نجد أن الثقافة الحديثة متأثرة بالقيم السائدة في هذا العصر من استقلالية وحرية أوسع عن القبيلة والعشيرة والأسرة، والاعتماد على النفس...وهي ما يطلق عليها بالذهنية الحديثة"